ولهذا قال الخضر عليه السلام لما سئل عن السماع في المنام انه الصفا الزلال الذي
لا يثبت عليه الا اقدام العلماء لانه محركا لاسرار القلوب ومكامنها ومشوش
لها تشويش السكر المدهش الذي يكاد يحل عقدة الادب عن السر الا من
عصمه الله بنور هدايته ولطف عصمته ولذلك قال بعضهم ليتنا نجونا من
هذا السماع راسا براس ففي هذا الفن من السماع خطر يزيد على خطر السماع
على مخلوق بالشهوة فان غاية ذلك معصية وغاية الخطأ ههنا كفر واعلم
ان الفهم قد يختلف باحوال المستمع فيغلب الوجد على مستمعي بيت واحد
واحدهما مصيب في الفهم والاخر مخطئ او كلاهما مصيب وقد فهما معنيين
مختلفين متضادين ولكنه بالاضافة الى اختلاف احوالهما لا يتناقض كما حكي
عن عتبة الغلام انه سمع رجلا يقول سبحان جبار السما ◦ ان المحب لفي عناء ◦ قال
صدقت وسمعه رجلا اخر فقال كذبت فقال بعض ذوي البصائر اصابا جميعا وهو الحق
فالتصديق كلام محب غير ممكن من المراد بل مصدود ومتعب بالصد والهجر والتكذيب
كلام مستانس بالحب مستلذ لما يقاسيه بسبب فرط حبه غير متاثر به او كلام
محب غير مصدود عن مراده في الحال ولا مستشعر لخطر الصد في المال وذلك باستيلاء الرجاء و
حسن الظن على قلبه فباختلاف هذه الاحوال يختلف الفهم ◦ وحكي عن ابي القسم
ابن مروان وكان قد صحب ابا سعيد الخدرى وترك حضور السماع سنين كثيرة فحضر
في دعوة انسان وهناك قول ينشد واقعت في الماء عطشان ولكن ليس يسقى ◦ فقام
القوم وتواجدوا فلما سكنوا سألهم عن معنى ما وقع لهم من معنى البيت فاشاروا
الى التعطش الى الاحوال الشريفة والحرمان عنها مع حضور اسبابها فلم يقنعه ذلك
فقيل له فما عندك فيه فقال ان يكون في وسط الاحوال ويكرم بالكرامات ولا يعطى
منه ذرة وهذا اشارة الى اثبات حقيقة وراء الاحوال والكرامات والاحوال سوابقها والكرامات
تسنح في مباديها والحقيقة بعد لم يقع الوصول اليها ولا فرق بين المعنى الذي فهمه وبين ما ذكروه
الا في تفاوت رتبة المتعطش اليه فان المحروم عن الاحوال الشريفة اولا يتعطش اليها
فان مكن منها تعطش الى ما وراءها فليس بين المعنيين اختلاف في الفهم بل الاختلاف
في المرتبتين وكان الشبلي كثيرا ما يتواجد على هذا البيت ◦ ودادكم هجر وحبكم قلى
ووصلكم صرم وسلمكم حرب ◦ وهذا البيت سماعه يمكن على وجوه مختلفة
بعضها حق وبعضها باطل واظهرها ان يفهم هذا في الخلق بل في الدنيا باسرها
بل كل ما سوى الله فان الدنيا مكارة خداعة قتالة لاربابها معادية لهم

في الباطن

في الباطن ومطهرة صورتها الود فما امتلأت منها دار حبرة الا امتلأت عبرة كما ورد في الخبر
وكما قال الثعالبي في وصف الدنيا ◦ تنح عن الدنيا ولا تخطبنها ◦ ولا تخطبن قتالة من تناكح ◦
فليس يفي مرجوها بمخوفها ◦ ومكروهها اما تاملت راجح ◦ لقد قال فيها الواصفون فاكثروا ◦
وعندي لها وصف لعمري صالح ◦ سلاف قصاراها ذعاف ومركب ◦ شهي اذا استلذذته فهو جامح ◦
وشخص جميل يونق الناس حسنه ◦ ولكن له اسرار سوء قبائح ◦ والمعنى الثاني ان ينزله على احوال
نفسه في حق الله تعالى فانه اذا تفكر في معرفته جهل اذ ما قدروا الله حق قدره وطاعته رياء ولا
يتقي الله حق تقاته وحبه معلول اذ لا يدع شهوة من شهواته في حبه ومن اراد الله به خيرا ابصره
بعيوب نفسه فيرى مصداق هذا البيت في نفسه وان كان على الرتبة بالاضافة الى الغافلين
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك وقال
اني لاستغفر الله في اليوم والليلة سبعين مرة وانما كان الاستغفار عن احوال هي درجات بعد
بالاضافة الى ما بعدها وان كانت قربا بالاضافة الى ما قبلها فلا قرب الا وتبقى وراءه بعد
لا نهاية له اذ سبيل السلوك الى الله تعالى غير متناه الوصول الى ادنى درجات القرب محال
المعنى الثالث ان ينظر في مبادي احوال نفسه فيرتضيها ثم ينظر في عواقبها فيزدريها
لاطلاعه على خفايا الغرور فيها فيرى ذلك من الله تعالى فيسمع البيت في حق الله تعالى
شكاية من القضاء والقدر وهذا كفر كما سبق بيانه وما من بيت الا ويمكن تنزيله على معان
وذلك بقدر غزارة علم المستمع وصفاء قلبه الحالة الرابعة سماع من جاوز الاحوال
والمقامات فعزب عن فهم ما سوى الله تعالى حتى عزب عن نفسه واحوالها
ومعاملاتها وكان كالمدهوش الغائص في عين الشهود الذي يضاهي حاله
حال النسوة اللاتي قطعن ايديهن في مشاهدة جمال يوسف حتى بهتن وسقط
احساسهن وعن مثل هذه الحالة تعبر الصوفية بانه فني عن نفسه ومهما فني عن نفسه
فهو عن غيره افنى فكانه فني عن كل شيء الا عن الواحد المشهود وفني ايضا عن الشهود فان
القلب ان التفت الى الشهود والى نفسه بانه مشاهد فقد غفل عن المشهود فا
لمستهتر بالمرئي لا التفات له في حالة استغراقه الى رؤيته والى عينه التي بها رؤيته ولا
الى قلبه الذي به لذته والسكران لا خبر له من سكره والمستلذ لا خبر له من التذاذه
انما خبره من الملتذ به فقط ومثاله العلم بالشيء فانه مغاير للعلم بالعلم بذلك الشيء
فالعالم بالشيء مهما ورد عليه العلم بالعلم بالشيء كان معرضا عن الشيء ومثل هذه الحالة
قد تطرى في حق المخلوقين وتطرى ايضا في حق الخالق ولكنها في الغالب تكون كالبرق
الخاطف الذي لا يثبت ولا يدوم فان دام لم يطقه القوى البشرية فربما يضطرب
تحت اعبائه اضطرابا يهلك فيه نفسه كما روي عن ابي الحسين النوري انه حضر مجلسا

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com) 1